معاني الأسر والحبس والقيد
عند شعراء النقائض

اســـم الباحثة
أ/ إبتسام صاطي حاسن الحارثي
جامعة الطائف

الملخص

(١) أن البحث تطلب القراءة للدواوين الشعرية للشعراء الثلاثة والبحث في القصائد الشعرية الخاصة بكل من الأخطل، والفرزدق وجرير.

(٢) وقد تناولت فيه الدلالات المختلفة لكل من القيد والحبس والأسر عند الشعراء الثلاثة ، وكيف تم توظيفها في العديد من المعاني المختلفة ،

(٣) وأيضاً بحثتُ في المعاجم اللغوية لبيان المعاني المتعددة لكل لفظ من الألفاظ،

(٤) وتوصلت إلى أن الشعراء تناولوا الألفاظ بمعاني متعددة، وإن اتفقوا في بعض الدلالات وتوظيفها، فقد كان هناك اختلاف في التوظيف ،

(٥) ونلحظ أن لغتنا لغة واسعة زاخرة بالألفاظ التي تتعدد مفرداتها.

Summary

(١) that the research requires reading the poetic columns of the three poets and research poems poems for each of the mistakes, and Farzdk and Jarir.
(٢) and dealt with the different indications of each of the restriction, imprisonment and families of the three poets, and how they were employed in many different meanings,
(٣) Also examined in the lexicons of language to show the multiple meanings of each word,
(٤) and found that the poets addressed the words multiple meanings, and agreed in some indications and employment, there was a difference in employment,
(٥) We note that our language is a broad language full of words that have multiple vocabulary.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

إنّ لكل عصر من العصور أدبه الخاص به ، وألفاظه الخاصة وكذلك معانيه التي تميز بها عن غيره من العصور، ومازال الأدب العربي القديم زاخراً بالموضوعات التي تستحق أن نقف أمامها بالدرس والتحليل .

وقد كان الشاعر لسان قبيلته وترجمانها يُنبي عن الذي مرّ بها من أحداث جِسام، كذلك لوحظ لدى النقاد مرور ألفاظ متكررة استوقفتهم بسبب اشتراك ورودها بين شعرائنا الثلاثة: الأخطل، وجرير، والفرزدق من شعراء العصر الأموي والذين اشتهروا بشعراء النقائض، وهذا أكبر دليل على أن الشعراء الثلاثة كانوا يعيشون حالة مشتركة سواءً على صعيد المواقف أم على صعيد الأحداث .

وهذا البحث يتناول ألفاظ (الأسر، والقيد، والحبس) وما يماثلها من مترادفات تحمل المعنى نفسه ونرى كيف وظفها الشعراء الثلاثة في قصائدهم وإلى أي شيء كانت ترمي تلك الألفاظ، ولأي غرضٍ تمّ استخدامها لأجله.

ولابدّ من الإشارة ونحن في بداية البحث إلى وجود مترادفات مثل الكبل والتكبيل بمعنى القيد والتقييد وكذلك الوثاق والتوثيق وغير ذلك من المعاني .

وتنوعت معاني الأسر فلم تقتصر على معاني التقييد المتعارف عليها والتي تتبادر إلى الذهن وتتعلق بالحرب والمعارك، فمثلاً العيون الآسرة والكلمة الآسرة تعني التي تشد الإنسان وتجعله مُحباً منصاعاً بكل جوارحه.

وكذلك نرى أحياناً كلمات مثل السبي والأغلال والأقفال، ولابد من التوضيح بأن البحث احتمل جهداً اقتضى قراءة دواوين الشعراء الثلاثة، لاستخلاص تلك الكلمات

ومعانيها، ومما دفعني للإقتصار على هؤلاء الثلاثة بحكم شهرتهم في النقائض ولأنهم اشتهروا بنظم القصائد في هجاء الآخر ومدح الذات والقبيلة والفخر بها على الآخر.

وقد يتبادر إلى الأذهان أن ألفاظ القيد والحبس والأسر محصورة في السجناء أو أسرى الحرب أو المقيد بيديه وقدميه، لذلك جاء هذا البحث لتسليط الضوء على الدلالات المختلفة والمعاني التي تتعلق بهذه الألفاظ .

وقد بدأت البحث بمقدمة توضح الموضوع وتبين أهميته وما يتناوله من دلالات ، ثم ثلاثة مباحث ، الأول : معاني القيد والأسر والحبس عند الأخطل، الثاني: المعاني نفسها عند جرير، وأخيراً: المعاني عند الفرزدق، ثم ختمت البحث بخاتمة توضح ماتوصل إليه البحث من نتائج .

دلالات ألفاظ الأسر، والحبس، والقيد كما وردت في بعض المعاجم اللغوية:

أولاً: كلمة (الأسر)

وردت مادة أسر بدلالاتها المختلفة والمتعددة في لسان العرب:(الأسيرهو الأخيذ سمي كل أخيذ أسيراً يقال أسرت الرجل أسراً وإساراً فهو أسير وكل محبوس في قد أو سجن أسير والإسار الرباط ، والأسر في كلام العرب الخَلْق وأسره الله أي خلقه والأسر القوة) [١]

وورد الأسر في مختار الصحاح (بمعنى أُسرة الرجل أي رهطه) [٢]

وورد فعل الأسر"الخضوع المطلق للسلطان الآمر، والعجز عن المقاومة والإعطاء باليد"[٣]

ثانياً : كلمة (الحبس)

حبسه يحبسه حبساً فهو محبوس وحبيس وحبسه أمسكه عن وجهه وقيل احتباسك إياه اختصاصك نفسَك به، والمحبس: اسم الموضع [٤] والحبس: المنع والإمساك.

ثالثاً : (القيد)

جاء في لسان العرب لابن منظور معنى القيد : معروف ، والجمع أقيادٌ وقيود ، وقد قيّده يُقيده تقييداً وقيَّدت الدابة ، وفرس قيد الأوابد أي أنه لسرعته كأنه يُقيد الأوابد وهي الحُمر الوحشية ، والقيدُ ماضم العضدتين المؤخرتين من أعلاها من القدّ ، وقيد الرحل : قِدّ مضفور بين حِنويه من فوق وكذلك كل شيء أسر بعضه إلى بعض

---

[١] / جمال الدين أبو الفضل، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، سنة ٢٠١٠، ص ١٩ ، ٢٠ .
[٢] / الرازي، الإمام محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح ، مكتبة لبنان، عام ١٩٩٣ ، ص ٧ .
[٣] / قدور، سكينة، أطروحة دكتوراه، الحبسيات في الشعر العربي ، ٢٠٠٦_٢٠٠٧ ، جامعة منوري ، قسنطينه الجزائر، نقلاً عن الأسر والسجن في شعر العرب لأحمد مختار البرزه ، ص ٢١ .
[٤] / لسان العرب مرجع سابق ص ٤٤ .

يسمى قيد ، وقيود الأسنان لثاتها ، وتقييد الخط : تنقيطه ، وإعجامه ، وشكله، والمقيد من الشعْرِ خلاف المطلق ، وقيد الفرس سمة تكون في عنق البعير. [1]

[1] / لسان العرب ، ص ٣٧٢ ، ٣٧٣ .

المبحث الأول

معاني الحبس والأسر والقيد عند الأخطل : [١]

يقول:

ومحبوسةٍ في الحي ضامنة القِرى

إذا الليلُ وافاها بأشعثَ ساغـبِ

مُعقرةٍ لا تنكر السيف وسطها

إذا لم يكـن فيها مَعَسٌّ لحـالبِ

إذا ما الدم المهراقُ أضلعَ حملُه

وناب رهنّاها بأغلى النوائب [٢]

فالأخطل في هذه الأبيات يصوّرُ ناقةً لا يدرُّ لها حَلبٌ وليست موضوعةً لأجل ذلك فهي معدة للذبح، صحيحٌ أنه يُعنى بها وتحصل على مزيد من الغذاء والمكان الآمن، إلّا أنها لا تأمن أن يحل ضيفانٌ على أهلها فيعقرونها لذلك جاء توظيف الحبس هنا للناقة بلفظ "محبوسة".

ويقول أيضاً :

وأبيض لا نكسٍ ولا واهن القوى

سقيناه إذْ أولى العصافير ولّت

[١] / الأخطل هو غياث بن غوث أحد شعراء النقائض

[٢] / الأخطل، غياث بن غوث: الديوان، شرحه وقدم له مهدي ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٩٤، ص ٢٠.

حبست عليه الكأسَ غير بطيئةٍ

من الليلِ حتى هرّها وأهرت

فقام يجرُّ البُردَ لو أنّ نفسه

بكفيه من ردِّ الحميّا لخرَّتِ

وأدبر لو قيل : اتقِ السيفَ لم تُخَلْ

ذؤابته من خشيةٍ اقشعرتِ [1]

فالحبس هنا يعني المنع ، فهو يصف صاحبه في اللهو والشراب بقيا يتسابقان حتى آذن الفجر بالانبلاج وبقي يسقيه حتى رفعت العصافير صوتها ، دليلٌ على ظهور بوادر الصباح وشروق الشمس، فقد شرب حتى ثمل وصار متهاوياً من فعل الخمرة في جسده، فلما رأى صاحبه منه ما رأى منع الكأس عنه رحمة به، فقام مولّياً إلى بيته يجرُّ بُرده، غير مُدرك لما يحيط به، فلو أن أحداُ قابله بالسيف لم يُعِرْ اهتماماً لذلك.

نجد الشاعر هنا وظف كلمة الحبس في معرض الكأس وأراد الإمساك والكف .

ويذكر الاخطل في قصيدة له أهل المخازي:

هلّا أَتَحْتُم لابن وحفٍ فإنّه

لكم بالمخازي يومَ أبْقين متيحُ

وردّ عليكم (مردفات) نسائكم

ببطحاء ذي قارٍ صلادمُ قُرَّحُ

[1] / الأخطل، الديوان ، مرجع سابق ، ص ٦٤ .

فأنقذهنَّ الضربُ والطعن بالقنا

وأيدٍ بأبـطالِ الكتيبة تجــرحُ

وكلٌّ طويلِ الســاعدينِ، كأنهُ

فنيقٌ خطيرٌ يقرعُ الناسَ شَرْمَحُ [١]

يصف الأخطل جماعة بالخزي ذلك أنهم في الحرب يوم ذي قار قدّموا نساءهم فَسُبينَ في المعركة ودلّ على ذلك كلمة المردفات وهي تعني السبيّات العائدات، فقد بلغ بهذه الجماعة الخزي أن قدّموا نساءهم فأسرن، وكان لابن وحف وهو جميل بن وحف ولكل رجل كريم (فنيق) يدٌ بيضاء بتخليص نسائهم وردهن إليهم ، نلحظ مدلولاً آخر هنا من معاني الأسر وهو السبي والمردفات .

ذكر الأخطل معنىً آخر للأسير وهو "المُعنى" وذاك مشتقٌ من عنّاه الحديد أي أثقل رجليه من شدة الأسر ونرى ذلك في قوله:

وظلَّ الحُراقُ وهو يحرق نابه

بما قد رأى من قوةٍ وعتادِ

هديرَ المعنّى ألقح الشولَ غيره

فطلَّ يلـوّي رأسه بِقتـادِ[٢]

فهو يصف الأسير المعنّى الذي حُبس ومُنع من القتال وأُلقِحَ غيره وندب لمثل الوقائع الكبيرة، فندم على ذلك لأنه حُرم شرف القتال، تخفيفاً وتضعيفاً لشأنه، وكلمة أُلقح الشَول غيره تعني أن غيره أُعدّ للحرب وحُبِسَ هو عنها إما لذنبٍ اقترفه أو لأنه

[١] / الأخطل، الديوان ، مرجع سابق ، ص ٧ .
[٢] / الأخطل، الديوان، مرجع سابق ، ص ٨٥ .

غير أهل لذلك، فالأسر هنا ليس أسر حرب ولا أسر سجن وإنما أسر عن الخوض في المعارك وميدان القتال والنصر والعزو والشرف.

ويذكر في موضعٍ آخر:

إذا اليعافيرُ في أطلالها لجأت

لم تستطع شأوها المقصومةُ الحرُدُ

كأنها واضحُ الأقرابِ أفزعه

غضفٌ نواحلُ في أعناقها القِدَدُ[1]

والقددُ هنا هي الخشبة المربوطة بخيطٍ والتي توضع في أعناق الكلاب الأهلية من أجل ربطها، فإذا اليعافير وهي الظباء لجات إلى كُناسها وهي بيوتها وحجورها، فإن الأقراب وهي الثيران الكبيرة لا تدرك شأو الظباء في جريها ومبلغها، وكأنها فزعة خائفة من نباح كلاب مقيدة.

هذه الأبيات هي وصف ومدح ولدي معاوية بن أبي سفيان فهو يشبههما بالظباء التي تبلغ الشأو البعيد وتترك غيرها كالثيران الهائجة التي نبحتها الكلاب .

وفي القصيدة نفسها يذكر مادحاً كرم معاوية وأولاده قائلاً:

إذا عثرتُ أتاني من فواضله

سيبٌ تُسنَّى به الأغلال والعُقَد [2]

فهو رجلٌ كريم، فإذا تعثر الشاعر أو قصّر به الزمان فإنه يسعفه بفضلٍ وكرمٍ منه بسيبٍ أي (عطاء) تسنَّى من الفتح حيث تُفك به الأغلال والقيود وتحلُّ به العقد، إذ

[1] / الديوان مرجع سابق ، ص ٨٧ .
٢ / الديوان ، مرجع سابق ، ٨٩ .

أن كرمه له القدرة على فك القيود، ففوق الكرم فهو رجلٌ ذو سلطةٍ ومكانة قادرة على التصرف، كما نرى جاء توظيف القيود والعقد في معرض المدح.

ويقول في موضع آخر:

نُبِّيتُ أن الخـزرجيينَ حـافظـوا

بألفين منهـم دارعون وحُسَّرُ

وقد حارت الأسرى لمن يصطلي الوغى

فخابت من الأسرى حُبينٌ ويعمرُ

وسارت عديٌّ للجوار فأجزرت

وغيرعديٍ في المواطن أصبرُ[١]

لقد وقعت معركة بين بني هلال بن النمر وكعب بن زهير ويمدح فيها الخزرج، أما الأسرى فيصفهم بالذل فهم محتارون لمن سيكون النصر من الأسرى حبين ويعمر وهما قبيلتان كان لهما من الأسر نصيب، وقد سارت عُدي تغزو الجوار لأنها لا تقوى إلاّ على جيرانها.

وهكذا نرى الأخطل قد وظف الأسر والحبس والقيد في معاني متعددة ومدلولات شتى كما جات في النصوص السابقة.

١ / مرجع سابق ، ص ١٢٤ .

المبحث الثاني

القيد والأسر والحبس عند جرير: [١]

من المعروف أنه جمع الشعراء الثلاثة جرير والفرزدق والأخطل معارك شعرية كثيرة، فلا غرو إذن أن نرى أغلب شعر هؤلاء في التهاجي وذم بعضهم البعض، في مقابل الفخر والمدح بالذات، وكان جرير أشدهم ضراوة وأكثرهم وطأة عليهم، وفي ديوان جرير نرى قصيدةً بعنوان "الفرزدق المخزي" يقول فيها: [٢]

فاسأل أقومكَ أم قومي همُ ضربوا
هامَ الملوكِ وأهلُ الشركِ أحزابُ

الضّاربين زُحوفاً يومَ ذي نَجَبٍ
فيها الدروع وفيها البيضُ والغابُ

منّا فوارسُ يومِ الصَّمدِ كان لهم
قتلى وأسرى وأسلابٌ وأسلابُ

فاسأل تميماً من الحامُون ثغرَهُمُ
والوالجون إذا ما قُعْقِعَ البابُ

[١] / هو جرير بن عطية بن حذيفة وهومن بني كليب بن يربوع وكان يكنى أبا حَزْرَةَ ، وله عشرةٌ من الولد وهو من فحول شعراء الإسلام ويُشبه من شعراء الجاهلية بالأعشى ، من كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ، حققه أحمد شاكر ، ج١، دار المعارف ، القاهرة ، ط٢ ، ص ٤٦٤ ، ٤٦٥ .
[٢] / عطية، جرير، الديوان: شرح كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٣، ص ٤٤ .

جرير في هذه القصيدة يذم الفرزدق ويتهمه وقومه بالجبن ويفخر بقومه على قوم الفرزدق واصفاً إياهم بأنه لم يكن لهم سبق شرف في معارك الفتح الإسلامي، ودحر الشرك وعصبته .

فإن قوم جرير هم بنو تميم فقد كان لهم شرف المشاركة في الفتوحات وكان منهم أبطال شجعان تركوا أعداءهم قتلى وأسرى، فمن أين لك الفخر يا فرزدق ؟ فنحن الكُماة ونحن الحماة، جاء ذكر الأسر هنا بمعناه الذي يتبادر إلا الذهن وهو الأسرى في الحرب .

وقال جرير لسليمان بن سعد صاحب ديوان العطاء باليمامة واعظاً إياه وطالباً منه عطاءً بعد أن منعوه منه: [1]

لقد كان ظني يا ابن سعدٍ سعادةً
وما الظنُّ إلاّ مُخطئٌ ومصيبُ

تركتُ عيالي لا فواكه عندهم
وعند ابن سعدٍ سكّرٌ وزبيبُ

كأن النساء الآسرات حَنَيْنني
عريشاً فَمَشْيي في الرجال دبيبُ

منعت عطائي يا ابن سعدٍ وإنّما
سبقت إليّ الموت وهو قريب

فالشاعر يصوّر حاله المتقشفة، وأنه مأسور من نساءٍ في بيته سواءً كنّ زوجاته أو بناته أو ربّما أخواته أو ممّن يربطه بهنّ نسب، والأسر هنا جاء على معرض

[1] / جرير ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ٣٩ .

القرابة، فهو مرتبطٌ بهم لا فكاك له عنهم ، وهو معيلهم بعد الله ، ومن شدة معاناته من الإنفاق عليهم والإحساس بضرورة عطائهم فإن ظهره انحنى وأصبح يدّبٌ دبيباً ويمشي بين الرجال هوناً .

وأنت يا ابن سعدٍ في منعك عطائي إنّما قربت إليّ الموت وهو في الحقيقة قريب لشدة ما ألاقي من عناءٍ في تأمين عيش هؤلاء النسوة الآسرات لي بالنسب وأنا المأسور لهن بضرورة الإنفاق، نجد الشاعر هنا قد وظف الأسر في أبياته وليس هناك أي علاقة بحربٍ أو قتل وإنما جات الدلالة هنا للأسر في حياته اليومية وحالته المعيشية فهو يرى أنه أُسر لتلك النساء، وبهذا المعنى خرج الأسر من دلالته التي ارتبطت به وهي الحروب والمعارك .

وفي قصيدة أخرى يمدح جريرُ خالداً بن عبدالله القسري ويسأله أن يفكَّ قيده ويطلقه من سجنه:

فإنّ ابن عبدِالله قد عرفت له

مواطـنُ لا تخزيه عند المشاهدِ

فأبلى أميرُ المؤمنين أمانةً

وأبلاه صدقاً في الأمور الشدائدِ

إذا ما أراد الناس منه ظلامةً

أبى الضيم فاستعصى على كلِّ قائدِ

وإنْ فتنَ الشيطانُ أهلَ ضلالةٍ

لقوا منكَ حرباً حميها غيرُ باردِ

فهلْ لكَ في عانٍ وليس بشاكرٍ

فَتُطلقَهُ من طول عضّ الحدائدِ

يعودُ وكان الخبثُ منه سجيةً

وإن قال : إنّي مُعتبٌ غيرُ عائدِ

ندمتُ وما تغني الندامة بعدما

تطوَّحت من صكّ البُزاةِ الصوائدِ [1]

ذكر جريرُ في هذه الأبيات عدّةَ معانٍ كلها في المعاناة والأسر فكلمة عانٍ من عانى يعاني والعاني الأسير .

فبعد أن يصف الأمير بالكرم والشجاعة متلطفاً في قوله مستعطفاً له ، ومقدّماً لكي ينثني بعد ذلك لحاجته، فهو مأسور مسجون يطلب منه أن يسعى في فكّ قيده.

وهناك إشارة أخرى دليل على القيد حين وظف قوله "عضُّ الحديد" فهذه اللفظة دلالة على القيد.

ولا شك في أن الأسر والقيد لا يكون إلاّ من حديد أو من معدنٍ قاسٍ حتى لا يتمكن المقيّد من فكّ قيده.

ثم يصور حاله المأسور المقيد من ندمٍ على ما كان منه وأسفٍ على ما فعل، وأنه إذا أُطلق لا يعود لمثلها أبداً.

[1] / جرير، الديوان، مرجع سابق ، ص ١٣٦ ، ١٣٨ .

ومن المعاني والمرادفات للقيد كما جاءت في أبيات جرير وظف القيد بمترادفات وألفاظ أخرى مثل: الكبل والتكبيل، وجاء ذلك في فخره وإعتزازه يقول:

وإنّي لمن قومٍ تكونُ خيولُهم

بثغرٍ وتلقـاهم مقانبَ قُوَّدا

يحشون نيرانَ الحروبِ بعارضٍ

عَلَتهُ نجومُ البيضِ حتى توقَّدا

وكنّا إذا سرنا لحيٍّ بأرضهم

تركناهُم قتلى وفلّاً مُشرَّدا

ومُكتبَلاً في القِدّ ليس بنازعٍ

لِهُ من مِراسِ القِدّ رِجْلاً ولا يدا [1]

من خلال الأبيات نرى جريراً يفتخر بقومه الذين إذا ساروا إلى قومٍ من الأقوام فإنهم يوقدون النار ويحركونها بسيوفهم، ويتركون الأقوام الأخرى قتلى وجرحى وفلولاً مشردة، ويتركون آخرين مُقيّدين أُسارى في القيد لا يقدرون على نزع قيودهم من شدة ضعفهم وقوة ربطهم يداً برجلٍ تنكيلاً بهم وتقليلاً من شأنهم، فالقيد تم توظيفه هنا بمعنى التنكيل .

وفي هجاء جرير للفرزدق يقول:

لا تفخرنّ وفي أديمِ مجاشعٍ

حَلَمٌ فليْسٍ سُيُورُه بِسيُورِ

[1] / الديوان مرجع سابق ، ص ١٥٠ .

أبُنَيّ شِعْرَة لم نجدْ لمجاشعٍ

حِلماً يوازنُ ريشةَ العصفورِ

إنّا لنعلم : ما غدا لمجاشعٍ

وفدٌ وما مَلَكُوا وَثَاقَ أسيرِ

ماذا رجوت من العُلالة بعدما

نُقِضَتْ حِبالُكَ واستمرّ مريرِي [1]

يطلب جرير من الفرزدق ألا يفخر بقومه لأن قومه ليس لهم فخرٌ وليس لهم حلوم ولا تزن حلومهم ريش العصفور، ومجاشعٌ ليس لهم وفدٌ يذكر وليس لهم شجاعة حتى يوثقوا أسيراً .

فقد ذكر وثاق الأسير، إذ أنه لا يأسر إلا من حارب وقارع الأعداء وكانت له الشجاعة الكافية ليأسر ويوثق ومن أين لمجاشعٍ هذه الشجاعة حتى يأسروا ويوثقوا وهذا قمة الخزي والعار فلا حلوم لديهم ولا شجاعة عندهم تذكر .

وهذه من جهة الأهاجي التي هجا بها جريرُ الفرزدقَ وهذا يعتبر من المخازي التي يُعيّر بها العرب أعداءهم .

فجرير أتى بأحد المعاني التي تتعلق بالأسر والمأسورين وهو هنا كما رأينا الوثاق فالوثاق يتصل بالأسر، ذلك أن الأسير يكون مُحكم وموثق عليه المكان فالوثاق من الشدة والإحكام .

[1] / جرير ، الديوان ، ص ١٤٩ .

وفي هجاء الفرزدق يقول:

إنّ الفرزدق لا يزال مُقنّعاً

وإليه بالعمل الخبيث يُشارُ

لا يخفينّ عليك أنَّ مُجاشعاً

لو يُنفخون من الخؤورِ لطاروا

قد يؤسرونَ فما يُفَكُّ أسيرهم

ويُقّتلون فَتَسلَمُ الأوتارُ [1]

يقلل هنا جرير من شأن الفرزدق ومن شأن عصبته وأهله، فالفرزدق رجل مقنّع مجهول ولا إشارة إليه بالأعمال الخبيثة، وإن أهله لا وزن لهم فهم من شدة خورهم وفراغهم كالشيء الأجوف الذي لا وزن له.

فهم لا كرامة لهم بين القبائل فلو أسروا فلا مناص لأسيرهم ولا فكاك فلا يوجد من يأخذ برأيهم ويقبل وساطتهم ويطلق أسيرهم، فقد يجري عليهم القتل.

[1] / عطية، جرير: جرير شاعر الجزالة ، اعداد د / عبدالمجيد الحر، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٩٢، ص ١٥٩.

المبحث الثلث

الأسر والقيد والحبس عند الفرزدق: [1]

يقول الفرزدق مادحاً الحكم بن أيوب الثقفي ابن عم الحجاج الثقفي وكان قد تهدد الفرزدق ونهاه أن يهجو أحداً من أهله وخص فيها عبدالملك بالمديح:

كاد الفؤادُ تطيرُ الطائراتُ به

من المخافة إذ قال ابنُ أيُّوبِ

في الدار إنك إن تُحدث فقد وَجَبَتْ

فيك العقوبة من قطعٍ وتعذيبِ

في محبسٍ يتردّى فيه ذو رِيَبٍ

يخشى عليَّ شديد الهَولِ مرهوبِ [2]

الفرزدق هنا يصف سطوة ابن أيوب ويصفه بأنه صاحب سطوةٍ له محبسٌ رهيب، يضع فيه كل ذي ريبةٍ وشبهة ويصف تعطفه له بأن يشفّعه إذا حضر بالطاعة وأن يعفو عنه، فإنه نهى عن شيءٍ فلا يقر به أحد وإذا طلب شيئاً فلا بد أن يحصل وإذا منع شيئاً فلا يمكن القرب منه .

لقد وظف الفرزدق كما رأينا المحبس والمكان الذي يُحبس فيه.

ومن الدلالات التي وظفها الفرزدق للأسر جاء بمعنى السبي يقول :

---

[1] / هو هَمَّام بن غالب بن صعصعة بن مجاشع ، وكان جده صعصعة عظيم القدر في الجاهلية ، احد شعراء النقائض، من الشعر والشعراء مرجع سابق، ص ٤٧١ .

[2] / الفرزدق، همام بن غالب: الديوان ، قدم له سيف الدين الكاتب، أحمد عصام الكاتب، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، عام ١٩٨٣، ص ١٣.

أتذكر شأن الأزد ما أنت منهمُ

وما لقيت منّا عُمانُ وذلَّتِ

قتلناهم حتى أبدْنا شريدهم

وقد سُبيت نسوانهم واستُحِلَّتِ

نسيتم بقندابيل يوماً مذكّراً

شهيراً وقتلى الأزد بالقاعِ جُرَّتِ [١]

يهجو الطِّرماح الأزدي ويذكّر بما حصل لهم حيث ذلّت أيّما إذلالٍ ، وقد قتلوا وأُبيدوا، وسُبي نسائهم.

لم يكن الأسر فقط للرجال بل جاء التوظيف أيضاً للنساء وذُكر بلفظ السبي وليس بالأسيرات.

وقال في موضعٍ آخر :

كأني ولا ظلماً أخافُ لخالدٍ

من الخوفِ أُسقى من سمامِ الأساودِ

وإنّي لأرجو خالداً أن يفكّني

ويطلق عنّي مُقفـلات الحدائـدِ

هو القائد الميمون والكاهلُ الذي

يثـوبُ إليه الناسُ من كلِّ وافدِ [٢]

[١] / الديوان مرجع سابق، ص ٤٦ .

[٢] / مرجع سابق ، ص ٦٩ .

يتعطف الفرزدق لخالد بن عبدالله القسري وهو في السجن يستنهض همته ويطلب منه أن يفكه من سجنه، فهو خائفٌ منه كما يخاف الأفاعي السود، ويترجاه أن يطلق قيده ويفكَّ أسره، فهو القائد الميمون الذي يرجع إليه الناس في كل مهمة وملّمة.

وردت معاني تتعلق بالقيد وهي الفك والإطلاق ذلك أنه لو لم يوجد القيد لما وجد الإطلاق، وكذلك ذكر هنا القفل "مقفلات الحدائد" فالقفل من معاني القيد.

ويقول في موضع آخر مادحاً عمر بن الوليد بن عبدالملك:

يجودُ وإن لم ترتحل يا ابنَ غالبٍ

إليه وإن لا قيته فهو أجودُ

مِنَ النّيلِ إذْ عَمَّ المنارَ غُثَاؤهُ

ومن يأْتِهِ من راغبٍ فهوَ أسعدُ

فإنّ ارتدادَ الهمّ عَجْزٌ على الفتى

عليه كما رُدَّ البعيرُ المقيّدُ [1]

ذكر المقيّد في البيت الأخير فهو يصف جود عمر ويصفه بأنه كالنيل إذا جاد وأعطى، ومن يأتيه فهو سعيد وأنه سيأتيه لا محالة، ولا بدّ من مسعفٍ له فإن عودة الهم عليه يعتبر من العجز وكأنه مربوطٌ بقيدٍ لا فكاك له منه كمثل البعير الذي ربط فلا محيد له من الأسر.

لقد تناول شعراؤنا الثلاثة الأخطل والفرزدق وجرير معاني الأسر والقيد والحبس بنفس الأسلوب تقريباً، وكان أكثر من تناوله منهم جرير، وقد استخدمه على سبيل الهجاء، فكثيراً ماهجا الفرزدق والأخطل ذاكراً إياهما بأنهما لا مكانة لهما ولا يستطيعوا فك أسيرهم.

[1] / الفرزدق، الديوان، مرجع سابق ، ص ٦٩ .

كما تناول الشعراء معاني الأسر والقيد والحبس بمترادفات متعددة وفي اتجاهات مختلفة مثل التكبيل والقفل والسبي.

ذكر الدكتور وليد قصاب في كتابه علم البيان بيتاً للفرزدق يقول: [١]

(أصبح في قيدك السماحة وال

جُودُ وحَمْلٌ لمضلع الأثقال

أراد الفرزدق وصف ممدوحه بصفات السماحة والجود ، والقدرة على النهوض بالأعباء الثقيلة، والأمور العظيمة، ولكنه لم ينسب هذه الصفات إليه مباشرة على أسلوب التعبير الحقيقي، بل نسبها إلى شئ يتعلق به، وهو القيد، جعل هذه الصفات في قيده، فهذه كناية عن نسبه)، فالسماحة والجود أصبحت مقيدة عنده حيث أنها لا تنفك فلفظ القيد هنا جاء بمعنى المدح والتملك.

ويقول الفرزدق في بيتٍ آخر مادحاً سليمان بن عبدالملك:

وكم أطلقَتْ كفّاك من قيدِ بائسٍ

ومن عقدةٍ ما كان يُرجى انحلالُها

كثيراً من الأيدي التي قد تكنعت

فككت و أعناقاً عليها غِلالها [٢]

يمدح سليمان بن عبد الملك وأنه معروف بفكه لقيود البائسين سواء أكانت تلك القيود في الأسر والحبس أم أي قيد أو مشكلة تواجه البائسين في حل مشاكلهم وكان هو عوناً لهم.

[١] / القصاب، وليد إبراهيم: علم البيان ، دار الفكر، دمشق ، ط١، عام ٢٠١٢ م ، ص ٢٤٥ .
[٢] / الجمحي ، محمد بن سلام : طبقات فحول الشعراء ، دار الكتب العلمية ،بيروت ، ج ١ ، عام ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١ م ، ص ١١٥ .

ووردت ألفاظ القيد بمدلولات أخرى عند الشعراء في النقائض فقد ذكر البلاذري في كتابه أنساب الأشراف أبياتاً تتعلق معانيها بالقيد :

عن بكر بن الأسود: لقي الفرزدق خليفة الأقطع، فقال له: يا أبا فراس من الذي يقول:

هو القين وابن القين لا قين مثله

لضرب حديد أو لنحت أداهم

فقال الفرزدق هو الذي يقول:

هو اللص وابن اللص لا لص مثله

لنقب جدار أو لحل دراهم [١]

الأداهم وظفت هنا وهي بمعنى القيود والبيت لجرير بن عطية .

وكذلك وردت لفظة "أداهم" عند الفرزدق كما جاء في الشعر والشعراء: [٢]

ذكر ابن قتيبة في كتابه أنه لما هجا الفرزدق بني مِنْقَر بسبب ظمياء وهي عمة الشاعر المنقري، هرب إلى المدينة وعليها سعيد بن العاص فأمّنه وأجاره وأظهر زيادٌ أنه لم يرد به سوءًا، وأنه لو أتاه لأكرمه فبلغ ذلك الفرزدق فأنشد:

دعاني زيادٌ للعطاءِ ولم أكن

لِأقْرَبَهُ ما ساق ذو حَسَبٍ وفْرا

وعند زيادِ لو يُريدُ عطاءَهُم

رجالٌ كثيرٌ قد يرى بهم فَقْرا

[١] / البلاذري ، أبي الحسن أحمد : أنساب الأشراف ، دار الفكر ، بيروت ، عام ١٩٩٦م ، ج ٧ ، ص ٤٥٢ .
[٢] / الشعر والشعراء ، مرجع سابق ، ص ٤٧٨ .

وإني لأخشى أن يكون عطاؤه

أداهِمَ سُوداً أو مُحَدْرَجَةً سُمْرَا

فهو يخشى أن يكون عطاء زياد له هو القيود والحبس وجاء هنا القيد بلفظ أداهم.

الخاتمة:

نتائج البحث:

في نهاية بحثي أرجو الله أن ينال القبول، وإذا ما كان فيه خلل أو نقصان فالعذر في ذلك أن الكمال لله وحده، ولا بد من الإشارة إلى:

(١) أن البحث تطلب القراءة للدواوين الشعرية للشعراء الثلاثة والبحث في القصائد الشعرية الخاصة بكل من الأخطل، والفرزدق وجرير.

(٢) وقد تناولت فيه الدلالات المختلفة لكل من القيد والحبس والأسر عند الشعراء الثلاثة ، وكيف تم توظيفها في العديد من المعاني المختلفة ،

(٣) وأيضاً بحثتُ في المعاجم اللغوية لبيان المعاني المتعددة لكل لفظ من الألفاظ،

(٤) وتوصلت إلى أن الشعراء تناولوا الألفاظ بمعاني متعددة، وإن اتفقوا في بعض الدلالات وتوظيفها، فقد كان هناك اختلاف في التوظيف ،

(٥) ونلحظ أن لغتنا لغة واسعة زاخرة بالألفاظ التي تتعدد مفرداتها.

المراجع

١. ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم: الشعر والشعراء، كتبه أحمد شاكر، دار المعارف ، مصر، القاهرة، ط ٢، عام ١٩٥٨.
٢. ابن منظور، محمد بن مكرم : لسان العرب، دار صادر، بيروت، عام ٢٠١٠.
٣. الأخطل، غياث بن غوث : الديوان، شرحه مهدي ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، عام ١٩٩٤.
٤. البلاذري، أحمد بن يحيى : جمل من أشراف الأنساب، تحقيق سهيل زكار، ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، ط١، عام ١٩٩٦م ، ١٤١٧هـ .
٥. الجمحي، ابن سلام: طبقات الشعراء، دار الكتب العلمية، بيروت، عام ٢٠٠١، ١٤٢٢هـ .
٦. الحر، عبدالمجيد : جرير شاعر الجزالة، دار الكتب العلمية، بيروت، عام ١٩٩٢.
٧. الرازي، أبو بكر: مختار الصحاح، مكتبة لبنان، عام ١٩٩٣ .
٨. عام ٢٠١٢ م.
٩. عطية، جرير: الديوان، شرح كرم البستاني، دار بيروت، عام ١٩٨٣ .٣/ الفرزدق، همام بن صعصعة: الديوان، قدم له سيف الدين الكاتب، أحمد عصام الكاتب، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، عام ١٩٨٣.
١٠. قدور، سكينة : الحبسيات في الشعر العربي، أطروحة دكتوراه، جامعة متوري ، الجزائر، عام ٢٠٠٦ ، ٢٠٠٧م.
١٠. قصاب، وليد إبراهيم : علم البيان، دار الفكر، دمشق ، ط١ ،